عالم الفن كان حلمها الطفولي واحترافيتها وطموحها جعلاها ممثلة مميزة

السعدية أزكون: مسرحية «بنات لالة منانة» لاقت نجاحا وشهرة غير منتظرين

الدار البيضاء ـ «القدس العربي» ـ من بشرى الحضيكي:

منذ نعومة أظافرها والسعدية أزكون تعشق التمثيل والكل كان يتنبأ لها بمسار فني حافل بالنجاح من بينهم أستاذها المسرحي الكبير الطيب الصديقي الذي عملت معه بملحمة «أصوات وأضواء» في ثاني عمل مسرحي لها بعد «اكسير الحياة» للمخرج محمد سعيد عفيفي مسيرة فنية دامت لمدة 18 سنة تلك التي أمضتها السعدية أزكون بين المسرح والسينما والتلفزيون تألقت فيها من خلال عدة أعمال ناجحة مازال جمهورها يتذكرها الى الآن نذكر من بينها «مصير امرأة» و«الطفولة المغتصبة» لمخرجهما حكيم النوري و«كيد النساء» و«الدار البيضاء الدار البيضاء» لمخرجتهما فريدة بليزيد اضافة الى مجموعة من المسلسلات كـ«الدار الكبيرة» و«دواير الزمان» لفريدة بورقية ولا ننسى مشاركتها في أفلام تلفزيونية قصيرة أمثال «أسرار صغيرة» للمخرج عزيز السالمي و«أولاد الغيال» لحميد بناني. في هذا الحوار الذي خصت به «القدس العربي» تحدثت الينا السعدية أزكون عن السر وراء نجاح أعمالها وعن دورها في مسرحية «بنات لالة منانة» واشياء أخرى فلنستمع اليها:

■ ماذا عن بداية مشوارك الفني؟

■ **درست بالمعهد البلدي للموسيقى والرقص والمسرح لمدة 7 سنوات بالدار البيضاء و«اكسير الحياة» كان أول عمل مسرحي لي مع المخرج «محمد سعيد عفيفي» بعدها مباشرة كانت الانطلاقة حيث قمت بملحمة «أصوات وأضواء» الى جانب الطيب الصديقي والبعض من طلبة المعهد.**

■ متى ظهرت موهبتك الفنية؟

■ **كان حلمي عندما كنت بالمدرسة هو أن أصبح ممثلة في المستقبل وكان الكل يشجعني على تحقيق هذا المبتغى من بينهم أساتذتي وطيلة فترة دراستي بالاعدادي والثانوي كنت دائما السباقة في المشاركة بأي عمل مسرحي تنظمه ثانويتي بهذا فقد كانت ميولاتي الفنية واضحة وهذا ما دفعني لاختيار الفن كتوجه.**

■ ومن شجعك كممثلة؟

■ **المسرحي الكبير الطيب الصديقي هو من شجعني على المضي في هذا المسار وعلى الاشتغال في المسرح.**

ما هي الأدوار التي حققت طموح السعدية أزكون وأقربها الى قلبها؟

كل دور جسدته الا وكنت مقتنعة به اقتناعا كاملا ومحبة له قبل كل شيء لهذا فأنا دائما ما أرفض الدور الذي لا أجد فيه شخص السعدية أزكون ونجاح أي دور لي يرجع بالدرجة الأولى لاختياري له بقلب وبحب شاركت رفقة أعضاء الفرقة المسرحية النسائية «الكعب العالي» بمسرحية بنات لالة منانة المقتبسة عن نص «بيت بيرناردا ألبا» لغارسيا لوركا والتي عرضت في مجموعة من المدن كان آخرها ببروكسيل في اواخر شهر نيسان (أبريل).

■ كيف تقيمين مستوى الاقبال على المسرحية؟

■ **«بنات لالة منانة» هو عمل جيد يذكرني بأول عمل مسرحي لي في بداياتي الفنية ودوري في «بنات لالة منانة» لم يكن سهلا لأن فرقتنا واجهت مجموعة من الصعوبات في بداية هذا العمل اذ قمنا باخضاع قصة «لوركا» لعدة تغييرات وحولنا النص من اللغة الفرنسية الى لغة دارجة قحة (العامية المغربية) وسعت كل منا الى بذل مجهوداتها لانجاح العمل وبالفعل هذا ما كان والمسرحية لاقت نجاحا وشهرة غير منتظرة**

■ ما هي المدن التي عرضت فيها المسرحية؟

■ **عرضت بالرباط والدار البيضاء مرات عديدة وبأكادير وشفشاون وأيضا في مجموعة من المهرجانات كمهرجان باسبانيا ومهرجان بتونس ومؤخرا عرضت ببروكسيل في اطار جولة فنية كانت موفقة هذا بالطبع ما يعطينا نفسا جديدا للابداع والعمل أكثر في سبيل ارضاء الجمهور المغربي المتعطش لكل جديد.**

■ كيف تقضين وقت فراغك عندما تكونين غير مرتبطة بأي عمل فني؟

■ **في السفر وفي المطالعة وفي الاهتمام بشؤوني الخاصة وحاليا أصبح همي الوحيد هو قضاء وقت فراغي الى جانب أبنائي (المهدي ومحمد أمين).**

■ أليس لديك أي مشكل في التوفيق بين التزاماتك العائلية وعملك؟

■ **هذا المشكل غير مطروح لدي لأن والدتي قبل وفاتها هي التي كانت تتكفل بأبنائي في فترة سفري وحاليا أختي تعتني بأبنائي وزوجي هو الآخر يتفهم طبيعة عملي الذي يتطلب السفر والتنقل كثيرا ورغم هذا فأنا أحاول أن أقضي أي وقت فراغ لدي مع أبنائي لأعوضهم عن الأوقات التي أغيب فيها عنهم.**

■ ما هي آخر أعمالك في التلفزيون والسينما؟

■ **فيما يخص الأعمال التلفزيونية فقد شرعت الأسبوع الماضي في تصوير أحداث حلقات المسلسل التلفزيوني «المستضعفون» لمخرجه ناصر لهوير الذي سيعرض على القناة المغربية الأولى شاركت فيه التمثيل مع مجموعة من الفنانين كرشيد الوالي وعبد القادر مطاع وغيرهم وبالنسبة للسينما هناك أعمال مرتقبة ان شاء الله لكن تبقى غير مؤكدة.**

■ ماذا عن آخر أعمالك المسرحية؟

■ **آخر أعمالي المسرحية هي «بنات لالة منانة» للمخرجة سمية أقريو**

■ ما هو الدور الذي تؤدينه في المسرحية؟

■ **دوري هو لالة منانة الأم التي تعاني في مرحلة شبابها من ظلم أهل قبيلتها بسبب زواجها من رجل أجنبي اسباني الهوية بعدها ستهجر قبيلتها الى الشمال وهي حاملة بابنتها الكبرى ستتزوج هناك لالة منانة للمرة الثانية وستنجب ثلاث بنات وبعد وفاة زوجها ستظل حاضنة لبناتها الأربع وحرصا منها على عدم تكرار تجربتها في بناتها ستعمد على تكبيل حريتهن وستمنعهن من رؤية العالم الخارجي مما سيتسبب في خلق مجموعة من المشاكل عندهن وفي النهاية ستعترف الام لبناتها عن سر قسوتها وسبب سجنها لهن بالبيت طيلة فترة شبابهن.**

السعدية أزكون (القدس العربي)

الراقص البريطاني اكرم خان في ستوكهولم:

رقص يحوي كل اصوات الحب والولادة والموت

ستوكهولم ـ من عصمان فارس:

قدمت فرقة أكرم خان للرقص من انكلترا وعلى المسرح الكبير في بيت الرقص في ستوكهولم عرضا راقصا للطقوس الاسلامية الهندية. وهو عرض مسرحي يمزج بين الرقص والغناء والموسيقى الحية من خلال تلاعب المخرج ومصمم الرقص بعنصر الاضاءة، مع اضافة ابعاد جديدة للعرض وتميز الفرقة بقوة الحركة والجاذبية في المسرح، والفرقة مكونة من اعضاء من جنسيات مختلفة تستخدم الفرقة في العرض آلة المربد انجام وهو نوع من الطبول مع عزف على آلة السيتار وبمشاركة المطرب فهيم مزهر.

اكرم خان ولد في انكلترا لأبوين من اصل بنغالي ودرس الرقص في اكاديمية الرقص بالهند. قدمت فرقة اكرم خان مسرحا طقوسيا كاملا من طقوس المعابد الاسلامية في الهند، طقوس هي كل شيء فيه وهي البديل الرئيسي لدور الكلمة في النص المسرحي التقليدي، الكلمة في مسرح اكرم خان هي الطقس والرقصة والصمت والمهابة والشحنة الانفعالية والدينية والموروث الشعبي، واخيرا الاغنية والصرخة.

لا بد قبل الحديث عن العمل الفني الرائع والذي ابدعت فيه فرقة اكرم خان وكذلك هو في رقصة في الموسم الراقص لبيت الرقص ان تتعرف على الفرقة وعلى رؤيتهما الدرامية، والفرقة سميت بأسم اكرم خان وهو الراقص والكوركراف في الفرقة قمدت في لندن وهي فرقة محترفة شاركت في العديد من المهرجانات العالمية للرقص في الشرق والغرب والفرقة معروفة عالميا عقلها المفكر ومنشئها ومخرجها هو اكرم خان البريطاني الجنسية والبنغالي الاصل وهو في الحقيقة قائد الفريق.

والفريق الموسيقي المكون من خمسة عازفين مع المغني فهيم مزهر، تحولت الفرقة والرقص بالنسبة اليهم حياة، والحياة عندهم هي الحياة الطقسية في باكستان والهند وبنغلاديش بفنونها البدائية ورقصها وموسيقاها بصليل حرزها وملابسهم الملونة وايقاعاتهم بحركات الساحر والكاهن ورجل القبيلة الاصلية، وقد اصبحت طقسا دراميا امتزجت فيه الخرافة بالدين والقصة المصنوعة والاسطورة الموروثة في عجينة واحدة، اصبح الراقص جزءاً من مادتها الخام والمعنى دون وعي واضح بأنه منفصل عن هذه المادة او انه يؤدي دورا في لعبتها المرسومة بل بنوع اليقين او الوجد الحقيقي بأنه فرد في جماعة تؤدي صلاتها الخاصة الموروثة عاش انغام نفس الالات الموسيقية التي يلعب بها كاهن القبيلة التقليدي وخلال نفس الرقصات التي يؤديها الكاهن وجميع رفاقه، ان اكرم خان عندما يرقص يحرك يديه يمينا ويسارا وحركة وضربات قدميه على خشبة المسرح يتحرك بكل رشاقة ويتصبب عرقا، فهو بمثابة المعلم العصري للموسيقى والرقص وهو يدرب ويتدرب مع افراد فرقته على ايقاع الطبول وعازف الجلو وعازف السيتار الضرير، يتحرك اكرم ويتصرف على نفس النغمات والايقاع انه مدهش ورائع في حضوره على خشبة المسرح ساعات يرقص لوحده دون كلل او ملل.. فرقة موسيقية وراقص يمتلك الخبرة الكافية في فنون الرقص الهندية والباكستانية والبنغالية نقلت اليهم من خلال هذا المستودع الفني من الفن البكر والموروث عبر الاجيال.

سبق للفرقة ان قدمت مسرحية MA والتي تعني (اماه) يقول اكرم خان: عندما كنت طفلا صغيرا كانت امي ترفض الحديث معي في البيت الا باللغة البنغالية وكانت تقول تكلم الانكليزية خارج البيت، اي في المدرسة. والحديث لأكرم خان ان سلم القداسة والقبيلة من الناحية الاجتماعية هو من المسلمات والمقدسات المعجونة في ثقافتنا، فمتى يشاهد مثل هذه العروض او يشارك فيها وفترة الاعداد لها والتدريبات يتحول الممثل والراقص الى راهب يتعامل مع الفن بشيء من القداسة، وفي داخله شيء من الرهبة والحب، اما اكرم خان فقد كان عمره ثماني سنوات وشارك في مسرحية «المهايهمارتا» للمخرج العالمي بيتر بروك وهو يحمل في رقصه كل عناصر التوجيد والتأليه لهذا العمل الذي يقوم به ويؤديه يذوب فيه يستوعبه ويستوعب ما في داخله حتى يصبح الممثل والراقص والعمل الفني الذي يؤديه اجزاء من طقس فني وديني عشائري في ان واحد ولكنه مسرحية وطقوس درامية راقصة قبل اي شيء آخر، لا يعني هذا بأي حال من الاحوال ان العمل الفني الذي تقدمه فرقة اكرم خان عبارة عن فرقة دينية او انه حشد من الرقصات الهندية والطقوس الشاعرية الباكستانية والبنغالية وللفرقة العديد من العروض المسرحية العالمية الرافضة مثل «دون كيشوت» ذات عرض درامي امام الجمهور، ومخرج وكوكراف الفرقة وجميع اعضاء الفرقة يعنون بالابعاد الاجتماعية والدرامية للعمل الفني بصورة واضحة، اي تحويل كل الطقوس والعشائر والرقصات البنغالية الى بنية العرض الدرامي ومفردات اللغة المسرحية بصورة لا تحولها الى مجرد اداة ولا تبدلها فتصبح زخرفا خارجيا فارغ المعنى.

وحتى نستحق من ذلك نتعرف على مسرحيته المستمدة من طقوس المسلمين في الهند (الكاتاهي) وفيها نجد المحارب القديم شجاعا ونجد طقوس الولادة والمخاض تلعب فيه كل العناصر الكونية والاجتماعية والغريزية وجميع الانفعالات الغريزية وندخل في انشودة القدر والقوى الكونية والموروث الديني والشعبي معا وسط دوامة الصراع مع الحياة، والذي يشكل نسيجا شعبيا، ثم الصراع مع الحياة وفنون القتال والدفاع عن النفس والاستشهاد او الموت في ساحات الوغى، والمسرحية قد امتد عرضها الى ساعتين كاملتين في تدفق واحد مع فاصل استراحة وفي ايقاع سريع متوتر ومتلاحق، يحوي الغناء والرقص والتمثيل الايمائي واستعاض في احيان كثيرة بحوار الآلات الموسيقية وتحول اكرم خان بحركاته ورقصه الى طاقة متوقدة وهو يرقص ويعطي تعليمات في فنون الايقاع والرقص والحب والولادة والموت، وما قدمته الفرقة هو طقس الحياة من صنع الانسان وحده وليس مجرد عرض مسرحي راقص يتحدث عن الحياة او يقلد طقوسها.

وقف الجمهور مبهورا وهو يصرخ: رائع.. رائع وهم يصفقون للفرقة وللفنان اكرم خان الرائع حقا.

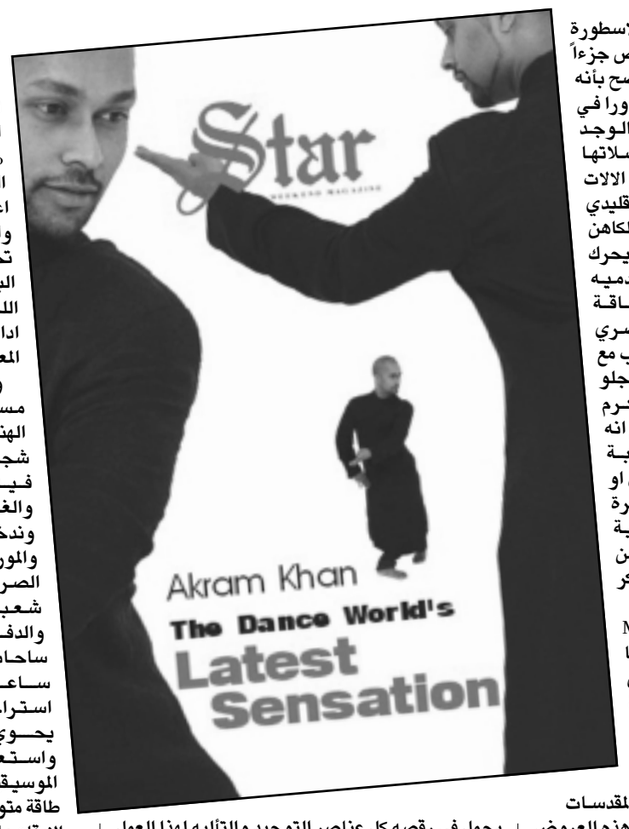

رغم اشادة النقاد بأدائه في «البطل» فقد انسحب لمدة 4 سنوات

مصطفى قمر: أسعى للفيلم الشامل وافلامي ليست من نوع «الاكشن»

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من محمد عاطف:

رغم النجاح السينمائي الذي يحققه المطرب مصطفى قمر منذ أول أفلامه «البطل» أمام الراحل احمد زكي وآخرها «حريم كريم» إلا أن الانتقادات تلاحقه من فيلم الآخر.. وهو يحاول إثباته ذاته وموهبته في التمثيل بجانب موهبته في الغناء والتلحين.

من هذه الانتقادات أنه يسير على درب عبد الحليم حافظ في أفلامه.. وأنه يحاول منافسة نجوم أفلام الأكشن رغم أنه لا ينتمي لهذه الفئة.. وانه توقف عن التمثيل أربع سنوات لفشله.. وغيرها التي يجيب عليها.

عن بدايته الحقيقية قال مصطفى: أعتقد أن فيلم «قلب جريء» بداية لمرحلة النضج الفني التي أتصور أنني مررت بها.. فبعد فيلم «أصحاب ولا بيزنس» شعرت أنني يجب أن أقدم نفسي للناس بشكل مختلف فهم يستحقون مني أن أقدم لهم كل جديد كما شعرت أنني تمكنت بشكل جيد من تقديم انفعالاتي على الشاشة الكبيرة بعمق كما جاء في فيلمي الأخير «حريم كريم».

البعض يراه يدخل نوعية أفلام الأكشن لمنافسة نجوم هذا اللون مثل أحمد السقا ومصطفى شعبان ويرد قمر قائلا: إنني أقدم نوعية مختلفة لا تتصف بالأكشن ولكن رومانسيا يتضمن قصة حب رقيقة تتخللها أحداث مشوقة وأكشن وكوميديا.. وهو ما أطلق عليه مسمى الفيلم الشامل.

حول سر توقفه عن التمثيل لمدة أربع سنوات بعد أول تجربة له في فيلم «البطل» أمام أحمد زكي قال: اعتبرت أن فيلم البطل امتحان لي وتجربة لمعرفة إمكانياتي في التمثيل.. ورغم أن الفيلم لم يحقق إيرادات ضخمة إلا أن النقاد أشادوا بدوري في الفيلم وأنا لم أكن أسعى للسينما في بداياتي بل الغناء هو كل شيء عندي.. ولذلك تفرغت بعد «البطل» لتطوير مصطفى قمر المطرب.. إلى أن جاءني سيناريو فيلم «الحب الأول» ووجدته جميلا يحمل قصة رومانسية راقية تذكرنا بكلاسيكيات السينما المصرية.. وقدمت الفيلم ونجح نجاحا ساحقا لذلك أعتبره بدايتي الحقيقية في السينما ولذلك شجعتني على الدخول التجربة التالية في فيلم «أصحاب ولا بيزنس» وتوالت أعمالي السينمائية إلى آخرها «حريم كريم» ثم دخلت أول تجربة تمثيل تليفزيوني التي أخوضها حاليا في مسلسل «علي يا ويكا» إخراج محمد النجار.

عن اقتحامه الأفلام الرومانسية وسط الأفلام الكوميدية المنتشرة على الساحة قال قمر: أعتبرها جرأة مني.. لقد عرض فيلم «الحب الأول» أمام فيلم لمحمد هنيدي وآخر للراحل علاء ولي الدين.. وأصريت على عرضه في ذلك الوقت لشعوري أن الجمهور يرغب في التغيير وتحقق توقعي ونجح فيلمي.

بعض النقاد يرون أنك تسير على درب عبد الحليم حافظ.. ويرد مصطفى قائلا: أرى أن هذا الرأي يوجه لأي مطرب يقدم نفسه سينمائيا في أعمال رومانسية وأعتقد أن تلك المقارنة غير صحيحة. عبد الحليم حافظ مدرسة تعلمنا منها وأعشقه لكنني لا أشبهه لأنني أسعى إلى تأكيد أسلوب مصطفى قمر.

لماذا لم تسلك الطريق الرومانسي في أفلامك التالية.. ويقول مصطفى: كما قلنا أن البعض رأى أنني في «الحب الأول» أسير على نهج عبد الحليم حافظ.. فأردت أن أثبت لهم أنني لا أقلده حتى لا يتم محاصرتي في الأدوار الرومانسية فقط فقدمت «أصحاب ولا بيزنس» وكنت أرتدي فيه لبسا واحدا ولم أحلق ذقني طوال الفيلم تقريبا حتى أثبت أنني ممثل ولم أدخل السينما من باب الموضة أو تسلية في وقت الفراغ.. وأعتقد أن هذا الفيلم حقق نجاحا كبيرا واعتبره إحدى العلامات المهمة في تاريخي الفني.

مصطفى قمر

فضائيات

سلطة الرمز في التجانب بين المحاماة والتمثيل...

خميس الخياطي*

■ منذ عصر النهضة، أصبحت للرمز سلطة لا منازع لها وخاصة إن كان رمزا للسلطة، ولأي سلطة. ومع تطور وسائل الإعلام والإتصال ومحو الحدود مع تركيز على الخصوصيات، تعدد مراكز السلطة وتمركزها كذلك وما إلى غير ذلك مما يعتبر من مقومات العصور المعاصرة التي نعيش، أصبح الرمز عنوان الواقع لأنه يختزله وبالتالي، كما كتب «لاكان» ومن بعده علماء السيميائية، يكون علامة تبادل وثراء بين مجموعتين إنسانيتين. إلا أن هذا التبادل يحمل في جوانيته ميلا نحو الإلغاء والمحو، بمعنى أن الرمز إذ يختزل المعرفة ويعمل على تبادلها، فهو كذلك ينفيها ويحصرها في غير وصيفتها المتعارف عليها. وبالتالي من المستحيل إنجاز قاموس عالمي للرمز. ومهما تكون الزاوية التي ننظر منها إلى سلطة الرمز في حضارتنا المعاصرة وفي كامل مرافقها الحضرية والريفية إن وجد الريف طبعا، فإننا نستخلص ثراءه الذي يسمح بتلاقي الرؤى في التعرف على مدلولاته المعاينة كما المخفية. وهو ما عبر عنه عالم النفس «لاكان» بالمقولة المستفزة: «الإسم جناية على المسمى (...) وعالم الأسماء هو كيان لعالم الأشياء»... أي أننا امام تطابق المعاني وتجانبها في الآن نفسه. هو جوهر الجدلية...

المسيرة المزدوجة

■ تناقلت الصحف التونسية والمصرية وحتما غيرها، ما جد مؤخرا بين عمادة المحامين التونسيين والمحامية–الممثلة التونسية هند صبري. قدمت الأخيرة طلب الإنتساب للمحاماة، فرفض الأول ذلك إن لم تقبل بشروط منها إعتزال التمثيل. فرفعت الثانية قضية للدفاع عما تعتبره تعديا على حقها في ممارسة مهنتها التي من أجلها قضت سنين دراسية في كلية الحقوق بالجامعة التونسية وممارسة هوايتها التي رفعتها إلى مرتبة النجوم.

طيلة انشغالها بالتمثيل سواء في تونس عند تعاملها اساسا مع مفيدة التلاتلي (صمت القصور وموسم الرجال) تلك المخرجة التي من العار على وزارة الثقافة التونسية ألا تقدم الدعم لفيلمها الجديد في حين تنعم به على من هم أقل موهبة وقدرة وفشلت أفلامهم السابقة فشلا ذريعا، ثم مع النوري بوزيد (عرائس الطين) ونوفل صاحب الطابع (الكتبية) أو في الأفلام المصرية العديدة بدءا بـ«مذكرات مراهقة» لإيناس الدغيدي وانتهاء بـ«بنات وسط البلد» لمحمد خان مرورا بأفلام عدة منها الهام مثل «مواطن ومخبر وحرامي» لداوود عبد السيد أو مجرد علكة لا داعي لذكر عناوينها إحتراما لمخرجيها، طيلة هذه الفترة، لم تكف هند صبري عن المراوحة بين تونس ومصر ولم تكف أساسا عن دراسة الحقوق وكلنا نعرف مشاق هذا المسلك الجامعي. أنهت الطالبة دراستها بامتياز وشفعتها بتخصص في «الملكية الفكرية»، وهو تخصص لعالمنا العربي وليس لتونس فقط – حاجة ملحة له. ثم أقامت فترة في تونس عملت فيها على انتسابها للمهنة وفي ذات الفترة، ظهرت في إحدى حلقات «سيتكوم» رمضاني للمخرج إبراهيم لطيف تم بثه على قناة 21.

هذه المسيرة الموازية الناجحة، إن دلت على شيء، فهي تدل على جدية في الدراسة وعمق وصدق الموهبة. وهذان العاملان يشربان من مصدر واحد هو الإصرار على النجاح وعدم الإكتفاء بما هو متاح... كان بإمكان ممثلتنا ولا أحد من تونس ولا من العالم العربي ولا من خارجهما بإمكانه التشكيك في موهبتها التمثيلية وصدق مشاعرها أن تحبس نشاطها في هوايتها وتغنم بزواج المال بالشهرة وما يتولد عنهما. إلا أنها، بالوعي الحاد المعروف عنها، بثقافتها الثرية والواسعة وبإدراكها لتقلبات الأهواء في عالم الصورة المتحركة المصرية ـ العربية، إختارت هند صبري أن تخبئ ورقة في جيبها للسنين العجاف.... إلا أن عمادة المحامين لم تقيم الأمور والمسيرة من هذه الزوايا.

بين المحاماة والتمثيل

■ من المعروف أن عمادات المحامين وكل العمادات من عمادة الصحافيين إلى نظيرتها الطبية ومثيلتهما الهندسية وغيرها هي عين المحافظة وهو أمر طبيعي حتى لا «يتسيب الماء على البطيخ». وعمادة المحامين التونسيين لا تختلف في هذا. المحافظة هي في الاساس القبول بواقع الأمر في تضاده مع أمر الواقع. بمعنى أن التغيير الذي يأمره الواقع لا يجد طريقه للتجسيد بسهولة لأن واقع الأمر يسد باب الإجتهاد. وطلب الممثلة/المحامية هند صبري الإنتماء لفئة المحامين هو من باب واقع الأمر، أي تلك الزاوية التي تقلب المفاهيم وتنخر الرموز لتحورها. المحاماة مهنة شريفة، مقننة، مركزة تمثل الصفحة الرائعة في الممارسة الإجتماعية الخاضعة للقانون بمعنى أنها تعبير عن المواطنة. ولا غرابة في ذلك. إن الرمز المعاين لها هو تلك البذلة السوداء التي تتدلى منها الياقة التي هي بدورها رمز للقضاة والمحامين والكهنة (صورة الصليب المرسوم خلف البذلة) وكل ذلك مزيج من الكهنوت المسيحي وعقلانية/إجتماعية الثورة الفرنسية. وبالتالي، فهي المعرفة المحافظة على سلامة التجمع البشري... ثقافة تخاف «أنفلونزا» الخيال الكامنة في التمثيل.

وفن التمثيل، وإن أصبح هو الآخر قائما على المعرفة، فهو النقيض الكامل لصرامة المحافظة لأنه الطبيعة الثائرة دوما في وجه الثقافة. إنه الباب الذي منه تأتي الريح... ريح اللاوعي وزمهرير الرغبات الصامتة وعاصفة الخيال الفردي. فن التمثيل هو المعبر عن الطبقات الدفينة وأدوات تعبيره هي الطبيعة ولا شيء غير الطبيعة. وحتى لو ثقفها، فهو يوهمنا بطبيعتها. من هذه الزاوية، المحاماة والتمثيل صنفان لا يلتقيان كما الطبيعة والثقافة. كيف يمكن أن نتصور محامية ترافع في قلب المحكمة وفي داخل كل واحد منا صور عنها وهي في حالات تتنافى والإستقرار الإجتماعي الذي يرعاه القانون؟ صراع بين سلطة رمزين، رمز الواقع ورمز الخيال. كل سلطة لها فضاءها وهما فضاءان متوازيان وإن التقيا، تكون المفارقة... وهند صبري هي المفارقة ويكفيها أن هي كذلك...

حب السينما الصامتة

■ إستضافت منذ فترة غير قصيرة «عرابة» شبكة «روتانا» (نايلسات) الدكتورة/المنشطة/ المديرة هالة سرحان في برنامجها «السينما والناس» (إخراج وليد محمود) الممثلة التونسية هند صبري. منذ الصور الأولى من هذه الإستضافة، يتبين للمشاهد صيغة الدعوة التي قبلت بها هالة ضيفتها هند. لنترك جانبا سيلان العسل المسكر في تقديم هالة لهند... أسلوب ما قبل اختراع التلفزة لأنه يختزل الضيفة في تعابير هي من قبيل الشعر الحلمنتيشي... يا حبة فزدق، يا هنودة، يا جزء من السينما المصرية، يا «هات ماللاوي»... وهي تنزل السلم، تأتينا أغنية «بنات وسط البلد» على رقصات مجموعة من الفتيات اللواتي يتحركن كما يفعل سكير يدخل زقاقا ضيقا.. وبعد ذلك مجموعة من مقاطع الأفلام مولفة على طريقة الومضة الإشهارية... ونتفطن أن الومضة خالية من أي فيلم غير مصري ونتيقن بأن الأمر لا يعدو أن يكون إلا فقرا في الخزينة رغم إدعاء قناة «روتانا سينما» بأنها قناة السينما العربية. لو خلعنا عنها بعض أفلام دريد لحام، لتبين لنا أنها استمرار للهيمنة السينمائية المصرية في زمن تعددت فيه المشارب الفيلمية. وتؤكد بعد ذلك هند صبري «أنا فخورة بالسينما التونسية التي أنا جايا منها... المغرب العربي عندو سينما جريئة والعين التونسية تعودت على حاجات معينة». تقول ذلك بلهجة مصرية قحة جعلت هالة سرحان تسألها عن كيفية تملكها المحكية المصرية. فتجيبها أنها تعلمتها من العمال والطبقات الإجتماعية و«اللهجة المصرية متخزنة عند العرب من الأفلام...» وأنها لا تتكلم تونسي إلا «لما أتضايق وأتنرفز وأتكلم تونسي على فرنساوي» (وهو أمر يثير حفيظة الجمهور التونسي)... إن نحينا جانبا هذا الجانب، كان حضور هند صبري وأجوبتها حول التمثيل (علشان أكما تمثيل، لازم أتعلم تمثيل) وحبها السينما الصامتة وقبولها بأدوار «صعبة» حضور وأجوبة من طراز عال. إنها لا تسقط في الإعتبارات الأخلاقية السمجة فتقول «أنا فاصلة بين ما يحدث على الشاشة والممثلين»، تعتبر أن التمثيل شيء والواقع شيء آخر وأنها «لا تخفي قلة الموهبة بالعري» و«أعمل كل حاجة حتى لا أسجن في كاتيغوري معينة»... كل الأجوبة الخاصة بعالم التمثيل لا تنم عن جهل أو وصولية أو منفعة مادية بقدر ما تأتي من أرضية ثقافية تفرق بين الواقع وصورته التي تقدم على الشاشة. وكأن بهند صبري في برنامج «السينما والناس» الذي قدم على حلقتين وفي هذه الأجوبة حول التمثيل تبعث برسالة لعمادة المحامين التونسيين علهم يكتشفون فيقتنعون بأن تحت قناع الممثلة الموهوبة والنجمة المحبوبة هناك محامية و«عليها الكلام»... هل وصلت الرسالة؟

■ جملة مفيدة: «يصطفل الأمير عبد القادر، نريدك أن تحدثنا عن التأشيرة». ذكرها المؤرخ الفرنسي «برونو إيتيان» في حديثه عن الشباب الجزائري اليوم. قناة «آل، سي، إي».

---

* ناقد وإعلامي من تونس
khemaiskhayati@yahoo.fr

وارضيات